

**اسم الدرس : وقفات مع سورة الصف**

**تصنيف الدرس : مجلس تفسير**

مقدمة

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، نستكمل بإذن الله تعالى وقفات تدبرية مع بعض سور كتاب الله عز وجل، وقفة اليوم مع سورة من الجزء الثامن والعشرين، وهي سورة الصف.

درس اليوم وقفات مع سورة الصف، وكما تعودنا في هذه السلسلة التى نعيش معها الآن، أن هذه الوقفات ليست تفسيرًا تحليليًا مفصلًا، كما كان في سورة الأعراف، لكن هي وقفات عامة مع بعض التحليل لبعض الجمل الموجودة في السورة، مع الوقوف على أهم الموضوعات التي تشير إليها هذه السورة، حتى نستفيد منها ونعايش هذه السورة.

نسأل الله عز وجل أن يجعلنا جميعًا من أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته.

سورة الصف تقع في الجزء الثامن والعشرين، وهي سورة مدنية، وسور الجزء الثامن والعشرين هى "المجادلة ، الحشر ، الممتحنة ، الصف ، الجمعة ، المنافقون ، التغابن ، الطلاق ، التحريم" هذا ترتيب سور الجزء الثامن والعشرين .

الجزء الثامن والعشرين جاء بعد سورة الحديد،(وقد فُسرت تحليليا في أربع دروس) ومن القضايا الأساسية التي تشير إليها سورة الحديد، ومن أهم المعاني التي يشير لها اسمها بداية »»»هي قضية الجهاد والبذل لنصرة الدين.

والإشارة واضحة في قول الله تعالى : (لايستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة) [الحديد:10] قضية البذل لنصرة هذا الدين، وأن الله أنزل الحديد فيه بأس شديد، ليكون نافع للناس، وأيضا ليستعمل في صنع الأسلحة لمواجهة أعداء الله سبحانه وتعالى.

فسورة الحديد كان فيها إشارات عن أهمية الجهاد لنصرة هذا الدين، وأن هناك طائفة من النصارى (وهو جزء كبير منهم) اختارت الرهبانية، اختارت الانعزال والبعد في وقت الاستضعاف.

هذه الرهبانية أدت إلى انتشار الفسوق (هذا المعنى مشروح بالتفصيل في اخر درس في سورة الحديد )، فغياب الجهاد أدى إلى انتشار الفسوق، فالمجتمع الذي تظهر فيه الرهبانية تظهر بسبب عدم وجود الطائفة الآمرة بالمعروف والناهية عن المنكر، التي تجاهد في سبيل الله، فتظهر الرهبنة وينتشر الفسق،

لأنه صار هناك انعزال للطائفة المُصلحة بعيدا عن المجتمع .

فسورة الحديد أخبرتنا أن أمة محمد عليه الصلاة والسلام ليس فيها رهبانية، كما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم "أن رهبانية أمته في الجهاد"[[1]](#footnote-1) ، وليست في الانعزال.

فبعد سورة الحديد نجد كأن الحديد والجهاد حقق النصر وبُني المجتمع المسلم، فجاء الجزء الثامن والعشرين لينظم بناء المجتمع المسلم حتى لا يسقط بعد الفتح.

نجد دائما في القرآن تأتي سورة تحذر من أن يضيع الفتح، مثل سورة التوبة، والتي بها الحديث عن النفاق بعد سورة الأنفال، وبعد أن حقق المسلمون الانتصار في بدر، فتأتي سورة التوبة حتى لا يضيع انتصار بدر.

وأيضا تأتي سورة الحجرات بعد الفتح حتى لا يضيع الفتح، فترتب وتنظم وتقوّم أخلاق المجتمع المسلم.

من أهم الموضوعات فى الجزء الثامن والعشرين، قضية تنظيم المجتمع حتى لا تحدث انقسامات وانشقاقات، تؤدي إلى سقوط المجتمع ونخسر الجهود التي بذلناها في سورة الحديد.

فغالبًا في القرآن بعد سور المجهود والبذل تأتي سورة لتحافظ على هذا البذل ..

مثل ايضا سورة محمد (سورة القتال) بعدها سورة الفتح ...فالقتال بتوفيق من الله أدى إلى الفتح، بعد سورة الفتح تأتي سورة الحجرات التى تهتم بتنظيم أخلاقيات المجتمع»»»حتى لا يضيع الفتح

ننظر للجزء الثامن والعشرين فنجده يعتني بقضايا المجتمع.

يبدأ بالأسرة المسلمة في سورة "المجادلة"، ويختم بالأسرة المسلمة أيضاً في سورة"التحريم"، فهذه إشارة عن أهمية اللبنة "الأسرة" في بناء المجتمع ، وهناك إشارات لهذا المعنى في خطبة الأفراد والمجتمع في شرح خواتيم سورة التحريم .

سورة المجادلة تتكلم عن إقامة العلاقات الأسرية، وأهمية ترابط المجتمع على الأوامر الشرعية، وليس على قضايا الجاهلية مثل الظهار.

ثم سورة الحشر؛ وكيف بدأت المجموعات تتكون من المهاجرين والأنصار، وكيف حدث التآخي بينهم.

بعد ذلك تأتي سورة الممتحنة، وبعد أن حصل التجمع في الحشر، فمن أراد أن يدخل في هذا التجمع لا بد أن يُمتحن، وهناك شروط للالتحاق بهذا الصف.. وهذه هي البيعة، ثم تأتي سورة الصف تخبر بتكون هذا الصف، وجاءت سورة الجمعة بعد الصف، بمعنى أن هذا الصف المجتمع له وجهة واحدة.

ثم جاءت سورة المنافقون وأول شيء يفكر فيه المنافقون هو كيفية تفكيك هذا الصف (ولأوضعوا خلالكم) [التوبة:47]، يريدون أن يدخلوا بين الصفوف، و (الإيضاع) بمعنى الإسراع، يريدون أن يتحركوا بينكم كالشياطين التي تدخل بين الصف في الصلاة، هذا هو النفاق، ولهم أساليب لفض الصف كقولهم (لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا) [المنافقون:7] - الضغط المادي وإلقاء الشبهات وغير ذلك - .

أما سورة التغابن والتحريم ففيهما نوع من الترابط، ولكن نؤجلهم لمرة قادمة بإذن الله تعالى مع سورة المجادلة، وكيف أن هذا الجزء المعجز يتلاحم ويترابط لتوصيل أفكار هامة ومن أهمها ((قضية الاجتماع ))

سورة الصف

هي سورة محورية في هذا الجزء (جزء قد سمع)، لأهمية هذه القضية وهو أن يكون المؤمنون صفًا.

الأحاديث المذكورة في أهمية الصف سنذكرها بإذن الله عز وجل عند آية (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا) [الصف:4]

من الأفكار المهمة التى تجعل رؤيتك وفكرتك عن هذه السورة تتغير، وتنظر لها نظرة مختلفة؛ هي أن تعتبر أن سورة الصف إجابة عن سؤال معين .

سبب النزول

رُوي عن بعض الصحابة حديث حسّنه بعض أهل العلم -سواء المروي عن عبد الله بن سلام أو غيره من الصحابة - : أنه كان مجموعة من الصحابة جالسين في المدينة وكانوا يسألون: لو أنّا نعلم أحب الأعمال إلى الله لفعلناها.[[2]](#footnote-2)

تخيل مجموعة من الإخوة أو من الملتزمين أو العاملين لدين الله جالسين سويا فيقولون: يا ليتنا نعلم أي الأعمال أحب إلى الله حتى نفعلها.

وفى بعض الروايات أن النبي صلى الله عليه وسلّم أرسل إليهم من يقرأ عليهم سورة الصف كاملة، والبعض الآخر أن النبي صلى الله عليه وسلم أرسل إليهم من يقرأ عليهم الآيات الأربع الأولى من السورة، أياً كان فإن النبي صلى الله عليه وسلم أرسل من يقرأ عليهم كإجابة على سؤالهم أو أمنيتهم .

فكونك تقرأ هذه السورة كإجابة عن هذا السؤال .. كأنك تقرأها وسط مجموعة الآن جالسة تتسائل: ماهي أحب الأعمال إلى الله في هذا الوقت؟؟

ولا سيما أن وقت هذا السؤال ووقت نزول السورة لم يكن الإسلام قد انتشر وتمكن؛ قبل فتح مكة؛ مازال الإسلام يعانى من المداولة بين الحق والباطل، والصراع مازال قائمًا، لم يحدث له انتشار في الجزيرة العربية، ولم يحدث بعد خضوع لكثير من القبائل، لم يحدث فتح مكة بعد ... فالإسلام في هذه المرحلة في حاجة إلى نُصرة وبذل، والأعداء متكالبون ... سواء الآيات نزلت بعد غزوة أُحد، أو بعد الأحزاب -على خلاف-، لكن الأعداء متكالبون لهدم هذا الدين ...

وسائلُُ يسأل : أريد أن أعرف أكثر شىءٍ يحبه الله عز وجل ؛ لو أنَّا نعلم أحب الأعمال إلى الله لفعلناها .

أن تقرأ هذه السورة وأنت تبحث عن جواب هذا السؤال فستتغير نظرتك تمامًا لهذه السورة، فنحن سنصطحب معنا هذا السؤال أثناء الوقفات التدبرية مع هذه السورة.

قال تعالى: (سبح لله ما في السماوات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم ..... گأنهم بنيان مرصوص ) [الصف:1-4]

لماذا افتتحت السورة بالتسبيح؟

البداية بالتسبيح أمر أثار ذهن بعض المفسرين، ما علاقة إجابة السؤال- لمن يختار أن السورة إجابة لهذا السؤال - بالتسبيح، وما علاقة قضية الجهاد بالتسبيح؟

قال بعضهم: -وهذا روي عن بعض السلف- أن بعض الذين تمنوا وقالوا: لو أنا نعلم أحب الأعمال إلى الله لفعلناها، بعضهم بعد أن أعلمهم الله عز وجل أنه يحب الجهاد والقتال، بعدما عرفوا ذلك »»» نكصوا وتراجعوا.

ظلوا يقولون نريد أن نعرف ماذا يحب ربنا عز وجل، ثم لماعرفوا أن الله يحب القتال قالوا: حقاً ؟؟؟! لم نكن متوقعين هذه الإجابة ... بدأ يتراجع ويتقهقر !!!

كما قال تعالى في سورة محمد

(ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة) [محمد:20] بعض المتحمسين - على خلاف في الآية - هل هم المؤمنون، أم المنافقون، أم ضعاف الإيمان، أم الكل- يتمنون نزول سورة.

(فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال) [محمد:20]

يقول لا ...ليست هذه هى السورة التى أريدها، أنا أريد سورة فيها معانٍ قلبية كي أبكى.. فقط أبكي ليس أكثر من ذلك، أنا أحتاج سورةً ترقق قلبي،

أما سورة فيها أعمال أنا أكرهها (كتب عليكم القتال وهو كره لكم) [البقرة:216] ومطلوب أن أجاهد نفسي !!!...لا لا هذا لا أريده!!!...لم أكن أتوقع أن يطلب منا هذا في هذه الأوقات!!!

والسورة تعاتب لأن الأمر في قمة الوضوح... هناك أناس (يريدون ليطفئوا نور الله) [الصف:8]

وأنت تسأل ما هوالمطلوب ؟!!

عجبا!! ماذا تتوقع المطلوب في مثل هذه الأوقات!!!

فالبداية بالتسبيح إشارة أن الله سبحانه وتعالى غني عن هؤلاء الذين أعرضوا، وجاء التسبيح بصيغة الماضي إشارة بأن الملائكة مستمرة في التسبيح، وأن الكون كله يسبح بحمد الله، فالله سبحانه غني عنكم ...

إن أنتم أعرضتم عن تنفيذ أمره، فهناك ملائكة والكون كله يسبح.

فالبداية بالتسبيح إشارة إلى الاستغناء.

وقال البعض الآخر أن البداية بالتسبيح، فيها إشارة أنه كما أن الملائكة تسبح في السماء بأمره (لايعصون الله ما أمرهم) [التحريم:6] ، وأما الأرض فقد اختار الله سبحانه وتعالى أن يحدث فيها الصراع والمنازعة، فقاتِلوا الكفار لتصلوا إلى حالة قريبة من حال السماء، قاتلوا هذا النشاز والشذوذ في الأرض من الكفار الذين رفضوا التسبيح، حتى تصلوا إلى حالة أشبه بحال السماء، نريد أن تُعَبد الأرض لله ، فالكفار هم الوحيدون الذين امتنعوا عن التسبيح، فلابد أن تقاتلوهم.

هذه علاقة التسبيح بإجابة السؤال أو بالجهاد ... إما الاستغناء، أو تعبيد الأرض لله سبحانه وتعالى كما تسبحه الملائكة في السماء.

وطائفة أخرى قالت: إنها إشارة»»» كما أن الملائكة تقف صفوف تصلي وتسبح في السماء، فأيضًا نحن علينا أن نقف صفوف في الأرض، سواء في القتال أو في الصلاة.

(وَهُوَ العَزيزُ) الذي لا يُغالب

(الحَكيمُ) كل أوامره لها حكمة سبحانه وتعالى.

بداية فورية غير متوقعة...

قال تعالى : (يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنوا لِمَ تَقولونَ ما لا تَفعَلونَ) [الصف:2] وكأن كثير من الذين يتمنون أعمالًا في الدين، يكتفون فقط بالأماني -نسأل الله السلامة والعافية- وبمجرد ما تتحول هذه الأماني إلى واقع، يفر ولا يثبت، يتمنى الجهاد، الدعوة، طلب العلم، حفظ القرآن.

فالآية هنا عتاب على أصحاب هذه الأماني الوهمية أو التصور الوهمي عن الدين، متصور عن الدين تصورات ليست موجودة.

الدين فيه أشياء فيها مشقة للنفس..كما قلنا (كُتِبَ عَلَيكُمُ القِتالُ وَهُوَ كُرهٌ لَكُم) [البقرة:216] هو يتعامل مع الدين بسياسة (أنا لا أجد قلبي)!!!

فأي شئ في الدين لا يجد فيه قلبه »» يتركه.

مقياس كل شيء عنده، أنه يريد أن يشعر بنوع من الرقة -وهذا مهم جدًا جدًا جدًا، ولكنه ليس كل شئ في الدين- .

من الممكن ألا تجد قلبك في بر الوالدين مثلا كما تجده في عمل آخر، فالذي يتعامل مع الدين أنه مجرد أعمال يشعر فيها بقلبه فقط، فإنه سيترك جزء كبير من الدين.

هناك من يتبع سياسة (أنا لا أجد قلبي) وهناك من يتبع سياسة (أنا لا أجد نفسي).

ما معنى لا أجد نفسي؟

أي أنه لم يحقق إنجازًا أو تصدرا، لم يجد نفسه في الدعوة، إذن لن أستمر، لم يجد نفسه في القرآن، إذن لن أستمر!!!

هل أتيت تبحث عن تصدر وإنجاز، وتبحث عن نفسك، أم أنك أتيت لتحقيق العبودية؛ فتفعل ما تستطيع، والله يجبر هذا النقص؟؟!!!

فالآية عتاب لمن يتمنى ثم ينكص.

(لم تقولون ما لا تفعلون) [الصف:2]

تخيل هذه الآية نزلت في أناس يقولون: لو نعلم أحب الأعمال إلى الله لفعلناها!!!

عندما تسمع هذه الحماسة لا يساورك شك أبداً أن هؤلاء يمكن أن يتراجعوا، بل تظن أن أي شيء يقال لهم سيفعلوه!!!

لكن تُفاجيء أن كثير ممن يتمنى، لا يطبق هذه الأمنية على أرض الواقع.

(يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنوا لِمَ تَقولونَ ما لا تَفعَلونَ) [الصف:2]

وبالفعل كثير من السلف قال: أن بعضاََ ممن تمنوا، حين طلب منهم القتال كما جاء في قوله تعالى (أَلَم تَرَ إِلَى الَّذينَ قيلَ لَهُم كُفّوا أَيدِيَكُم وَأَقيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكاةَ) كانوا يتمنون الجهاد في مكة (فَلَمّا كُتِبَ عَلَيهِمُ القِتالُ) أي في المدينة (إِذا فَريقٌ مِنهُم يَخشَونَ النّاسَ كَخَشيَةِ اللَّهِ أَو أَشَدَّ خَشيَةً وَقالوا رَبَّنا لِمَ كَتَبتَ عَلَينَا القِتالَ) [النساء:77]

كثير من المفسرين ربط الآيتين ببعض، أصبحوا لا يريدون القتال.

مثل آية الأنفال (وَتَوَدّونَ أَنَّ غَيرَ ذاتِ الشَّوكَةِ تَكونُ لَكُم) [الأنفال:7] لا يريد أن يُشاك بشوكة واحدة، يريد أعمال فيها ليونة ويسر، ولا يوجد فيها مشقة، كما قال المنافقون (لا تَنفِروا فِي الحَرِّ) [التوبة:81] لا يريد حر ولا شوكة، يريد أعمال سهلة مكيفة، لا مشقة فيها، ويشعر فيها بالرقة القلبية واليسر.

بعض الناس هدفها ((الوحيد)) في القرآن أنها تبكي فقط، يقف يستمع في الصلاة إلى آيات القرآن، منتظر الآيات التي سيبكي فيها ؛ آيات عن النار وآيات عن الجنة .

من المفترض أن تكون هذه الآيات وازع ودافع لتطبيق ما أُنزل في بقية القرآن.

فتجد هذا الشخص لا يريد أن يسمع سورة البقرة، لا يريد سماع سورة النساء، ولا المائدة... يريد أن يسمع بعض آيات من سورة الأنعام، أو بعض آيات من سورة الأعراف أو بعض آيات من سورة الرعد ،إبراهيم، النحل...ويتجاوز كثير من الآيات والسور.

هذا كبداية ليس مشكلة؛ إنما أن يكون هذا أصل العلاقة بالقرآن ...ولايريد أن يسمع إلا ما يلامس قلبه وفقط، هذه هي المشكلة.

هذا بعد فترة يجعل الإنسان يتحول الدين عنده لمجرد شعائر ومشاعر، والدين أصلًا عقائد وأعمال.

تجد هذا الشخص لا يتحمل مثلًا أن يسمع عن عقيدة الولاء والبراء.

فالشاهد أن التعامل الانتقائي مع القرآن، حتى لو كان ما ينتقيه هو جيد، ولكن القضية في جعل ما ينتقيه هو الأصل وهو التعامل الأوحد مع القرآن.

(كَبُرَ مَقتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقولوا ما لا تَفعَلونَ) [الصف:3]

هذه الآية من الآيات المرعبة -نسأل الله العافية- ،ولاسيما أن كثيرًا من الوعاظ قد يتكلم بما لا يفعل.

معلوم أن جزء كبير من أهل العلم قال: أنه من الممكن أن الإنسان الذي يقع في معصية، أن ينهى عن المنكر طالما أنه يجاهد نفسه، وأنه يحق على شاربي الخمر أن يتناهوا عن المنكر فيما بينهم.. فهناك انفكاك بين فعل المعصية والنهي عن المنكر.

لكن القضية أن يتحول المرء إلى حالة من اللامبالاة (أَتَأمُرونَ النّاسَ بِالبِرِّ وَتَنسَون أَنفُسَكُم) [البقرة:44] هنا هو نسي نفسه مطلقًا، لم يعد مشغولا بنفسه، لم يعد يجاهد نفسه وهواها، لم يعد يسعى في تزكيتها، وأن يرتقي بأخلاقه ... هذا الأمر هو المنهي عنه..هذا من تنطبق عليه هذه الآية، هو يتكلم بأشياء لايريد أن يطبقها.

(كَبُرَ مَقتًا): مصطلح لم يأتي في القرآن إلا مع الكفار، ثم يأتي هنا مع المؤمنين الذين يتكلمون بأشياء لايطبقونها ... -قمة الرعب-.

الزمخشري وغيره أفرد بحثًا حول هذا المصطلح، وما يحمله من معاني الغضب.

ومن المعاني الجميلة التي أشار إليها دكتور ماجد الكيلاني(صاحب كتاب هكذا ظهر جيل صلاح الدين ) في كتاب أهداف التربية الإسلامية قال: (كَبُرَ مَقتًا)

لماذا كبر مقتا أن تقولوا مالا تفعلون؟

قال: لأن الذي يتكلم بكلام الدين ولا يطبقه يجعل الناس يكرهون ويمقتون الدين، يتسبب في مقت الناس للدين، يتكلم فقط ولا يُطبق، فالناس تقول هذا الدين ليس واقعي، فكما تسبب في مقت الدين، فالله عزوجل يمقته، أن يتحول الإنسان إلى مجرد كلام .

وأيضا مجيء هذه الآية في سورة الصف يشير إلى أن من أهم أسباب شق الصف كثرة الكلام بلا عمل، ومن أهم أسباب وحدة الصف أن نكف عن الجدال والمراء، فإن الله عزوجل إذا أبغض قوماً جعل بينهم الجدل، فتصبح مادة منتشرة بينهم، كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم.[[3]](#footnote-3)

فمن وسائل إقامة الصف العمل والتطبيق،

كما قال الله عزوجل عن النصارى (فَنَسوا حَظًّا مِمّا ذُكِّروا بِهِ فَأَغرَينا بَينَهُمُ العَداوَةَ وَالبَغضاءَ) [المائدة:14]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: أن العداوة والبغضاء تزداد على قدر الحظوظ المنسية من الشريعة.

كلما كان هناك أجزاء لا تُطبَق في الشريعة، تزداد العداوة والبغضاء، وكلما كانت الشريعة تُطبَق، ونتذكر كل الشريعة ونطبقها، كلما قلت العداوة والبغضاء.

كذلك كثرة الكلام بدون عمل يؤدي بصورة تلقائية إلى انشقاق الصف، ونحن مطالبون ببناء الصف المسلم.

من أهم الكتيبات الجميلة التي لابد للإنسان أن يعاود قراءتها: كتاب اقتضاء العلم العمل(للخطيب البغدادي)،نحن نتعلم لنعمل...حتى لا يتحول الإنسان إلى متكلم جيد وفقط.

إجابة السؤال

(إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص) [الصف:4]

فالله سبحانه وتعالى، هنا اختار عمل وحال، وكيفية لهذا العمل، ربنا سبحانه وتعالى اختار القتال، ثم كيفية القتال (صفًا) ، حالة هذا العمل أن نكون صفًا... والناس الذين لا يستطيعون الاصطفاف في وقت القتال، لن يستطيعوا الاصطفاف مطلقاً.

إذا كان في أشد اللحظات التي نحتاج أن نكون فيها صفًا... إذا لم نستطع أن نكون صفًا في القتال، فلن نكون صفًا أبدًا.

إذا كان في حالات الاستضعاف والقتال والاجتماع من الأعداء على الأمة الإسلامية، ومع ذلك هناك انشقاق في صفوفنا فمتى سنجتمع ؟!!!

التمكين والرفاهية أصلا تؤدي إلى الانشقاق والانشغال بالدنيا (وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما) كما جاء في سورة الجمعة [اية:11] وكذلك في السورة التي بعدها -سورة المنافقون [اية:7] - (لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا)

فشيء عجيب جدًا أن تجد الناس في أشد اللحظات من الاستضعاف، ويتنازعون...عجبا!!!

في أشد اللحظات علينا أن نتكاتف وأن نجمع هذا الصف ..

فالله عز وجل يحب الاصطفاف في القتال وفي أي عمل، هذه حالة يحبها الله، في الصلاة، والدعوة، وفي كل أعمال الدين، الله عز وجل يحب المسلمين أن يكونوا صفوفًا.

(كأنهم بنيان مرصوص) [الصف:4]

عدم وجود الصف في القتال؛ يؤدي إلى ظهور وتمكن الأعداء، ودخول المنافقين (لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا ولأوضعوا خلالكم) [التوبة:47] (الإيضاع): الإسراع... المنافقون يبحثون عن الفرجة، أو الخلل في الصف الذي بين صفوف المسلمين، ليدخلوا منها، ليفرقوا بين المسلمين وليشقوا الصف.

معني البنيان المرصوص

\_قيل: الجدار الذي بني بالحجارة والرصاص، ففيه قوة وثبات.

\_وقيل: الحجارة الكبيرة وضعت بجوار الحجارة الصغيرة وعليها اللَبِن ( كالأسمنت ) فحدث تماسك، ليس مجرد الحجارة بجوار الحجارة، ولكن الأسمنت، كأنه الأخوة والروابط التي تربط هذه الحجارة.

موانع إقامة هذا الصف

النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "إن مثَلى ومثَل الأنبياء مِن قبلي كمثل رجل بنى بيتًا فأحسَنه وجمله، إلا موضع لبنة مِن زاوية.." وفي آخر الحديث يقول صلى الله عليه وسلم : "فأنا اللبنة" [[4]](#footnote-4).

فالنبي عليه الصلاة والسلام يقول عن نفسه، وسط بقية الدعوات والرسل، وهو خير من مشى على الأرض، وهو أتقى الناس، وخير الناس، ثم يقول -صلى الله عليه وسلم-: أن مثله كمثل موضع لبنة من زاوية!!!

إذًا الذي يرى نفسه هو القصر الكامل والجدار الكامل، ولا يحتاج أن يقف بجانب أحد.

هذه هي الإشكالية، أن الإنسان قد يتصور نفسه أنه هو الدين كاملًا، سواء جماعة أو مجموعة أو شيخ أو فرد، يرى نفسه كل الدين، وهو غير محتاج أن يقف بجانب أحد، غير محتاج الصف، ولا الجدار، ولا اللَبِن، ولا الأخوة، ولا الأسمنت، وتوزيع المهام وتوزيع الثغور والتنوع لأنه يرى نفسه ((قصر)).

إنما لو شخص يرى نفسه لبنة، يعلم جيدًا أنه لن يكون جدار أبدا، وأن العدو قد يخترقه بكل سهولة، لأنه مجرد لبنة، وأن قيمة هذه اللبنة في أن تكون بجوار أختها، ثم يأتي هذا اللبن والأسمنت (الأخوة) ليربط بين الحجارة.فما قيمة اللبنة بمفردها؟!!!

تخيل حينما نسعى نحن بأنفسنا لهدم هذا الجدار، ولتفكيك كل لبنة بمفردها، ويصبح وجود لبنة أوحجارة بجواري أمرًا يضايقني، فلكي أكون حرًا؛ أبتعدُ عنه...

أمر مضحك!!!

تخيل أعضاء الجسد الواحد تتباعد... الذراع لوحده، والرجل لوحدها، والرأس لوحده!!!

ماقيمة هذا الجسد ...إنه جسد ميت!!!

هكذا الأمة حينما تنفصل، (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) [ال عمران:103]

قضية إننا نتعامل مع الأخوة والترابط على أنه أمر ثانوي، هذا سوء فهم للشريعة، من الأمور المهمة جدًا جدًا، التي حرصت عليها الشريعة: التجمع (قبلة واحدة، الصيام في شهر واحد، الجمعة، الجماعات) تأكيد الشريعة على تكرار خمس صلوات في المسجد، ثم نجتمع في صلاة الجمعة، ثم الحج في مكان واحد بالرغم من الزحام، ثم صيام الشهر الواحد، ثم قضية التكافل في تأدية الزكاة ... فحين نتعامل مع قضية الصف المسلم على أنه أمر ثانوي؛ هذا قلب لأولويات الشريعة ... ولا سيما في أوقات الاستضعاف والقتال، الله يقول: يامن تسألون عن أحب الأعمال إلى الله »» (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص ) [الصف:4]

يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "ما من خطوة أحب إلى الله من خطوة تصل بها صفا"[[5]](#footnote-5)

وهذا ليس فقط في الصلاة، الصف فيه نقص، وأنت تتم هذا الصف، أيا كان الصف .

ويقول صلى الله عليه وسلم : "من وصل صفا وصله الله ومن قطع صفا قطعه الله".صححه الألباني[[6]](#footnote-6).

والنبي صلى الله عليه وسلم يحذر بأن الشيطان يدخل بين الصفوف في الصلاة [[7]](#footnote-7)، فنحن مطالبين بتسوية الصفوف في الصلاة، كذلك في كل الأعمال ... هذه الصلاة التي تؤدي إلى التقاء المسلمين خمس مرات يوميًا في المسجد، ثم يجتمعون على مستوى أوسع في صلاة الجمعة، ثم أوسع في الحج والعمرة، و أيضا في رمضان، هذا أمر من مقاصد الشريعة الهامة.

ترك الثغور يؤدي الي هدم الصف

قال بعض أهل العلم : (بنيان مرصوص) : بنيان مبني بالرصاص المتماسك الذي لا يتزلزل.

وهؤلاء المطلوب منهم -أهل الصف- إذا وقفوا في ثغر لا يلتفتوا، ولا يتزعزعوا، حتى قال بعض أهل العلم : دعك من الذي يفر - هذا لا نتكلم عنه-ولكن الذي يقف في الثغر ثم يتزعزع ويتزلزل ويترك الصف ثم يعود... إشكالية!!!

فالانسان الذي يقف على ثغر لابد له أن يستقر فيه، ليس لأن الناس محتاجة هذا الثغر، فهو متماسك ولو أعرض الناس-سواء إعراض عن القرآن، عن طلب العلم، عن الدعوة- فيترك الثغر باحثًا عن إقبال الناس، ويتنقل بين الثغور، ليس ثابتًا على ثغر من الثغور »»» هذه إشكالية فترك الثغور والتنقل بينها يؤدي إلى هدم الصف، لأن المفروض أن نُثَبت بعضنا البعض، فعندما أكون على ثغر، أنا معتمد على أنك تسد الثغر الذي بجواري، فحين تترك ثغرك فارغًا أنت تُحمل أعباء على الواقفين على الثغور الأخرى...عبء سد الثغر الذي تركته مع ثغرهم، فلا يتفرغ لثغره.

فالإنسان لابد أن يفكر بنوعين من التفكير:

-الأول: التفكير الأممي بأنه جزء من هذه الأمة.

-الثاني : التفكير الفردي بأنه مطالب بأن ينجو بنفسه.

ولا يجب أن يطغى تفكير على تفكير،

اختر ثغرا في الأمة يساعد على نصرة الدين أيًا كان، ولو كان صغيرًا، ولكن استمر فيه...

كانت امرأة تقم المسجد (أي تكنسه) فماتت... الرسول صلى الله عليه وسلم لم يعلم ... سأل عنها، وعاتب الصحابة لعدم إخباره بموتها، وذهب ليصلي عليها... مجرد امرأة تنظف المسجد!!

ليس المطلوب ثغرًا خارقًا كبيرًا ...قد يكون شيء بسيط... فقط تثبت عليه.

"كان عمله صلى الله عليه وسلم ديمة"[[8]](#footnote-8) يعني دائم (على صلاتهم دائمون)

أما التزعزع و التنقل وعدم الاستقرار في أي عمل.. يبدأ في حفظ القرآن ثم يترك!! يبدأ في طلب العلم ثم يترك!! لايثبت على شيء، ثم يترك كل هذه الأعمال بعد فترة؛ هذا أيضا يؤدي إلى هدم الصف.

\_ من معاني (بنيان مرصوص): الثبات ، والتراص كالأسنان، فالأسنان لكي تؤدي دورها، لابد أن تكون متراصة بجوار بعضها البعض، وكذلك الصف المسلم .

مشهد المؤمنين يقفون صفًا، يمسكون بأيدي بعضهم البعض، وكل إنسان ثابت في مكانه ...هذه الصورة التي يحبها الله سبحانه وتعالى.

أحيانًا ممكن إنسان واقف على ثغر من الثغور، وليس له علاقة بشخص آخر يقف على ثغر بجانبه... لابد أن يكون بينهم روابط، لا يلزم أن تكون العلاقة مباشرة بمن يعمل في الثغر المجاور لك، لكن لابد أن تكون هناك علاقات بين العاملين لدين الله، ونسعى لذلك... روابط ولو غير مباشرة تربطك مع إخوانك العاملين لدين الله...

هل هذا يخص فقط العاملين لدين الله ؟؟

بالطبع لا ...حتى بين باقي المسلمين يجب أن تكون هناك روابط، لكن حين يتفرق العاملين لدين الله هذا أمر خطير ، لذلك جاء في السورة لفظ (الحواريين)، بل بعض أهل العلم سمى السورة "سورة الحواريون" ، وهم النواة الصلبة ...إنهم الناس التي تضحي لكي تقيم الصف المسلم...سنتكلم عنها لاحقا .

لابد أن يترابط هؤلاء ويسعوا لوجود علاقات بينهم، ولا سيما في أوقات الاستضعاف، حتى يبحثوا عن المشتَرَكات.

ثم جاءت الآيات بعد ذلك بنموذج لهدم هذا الصف، ونموذج رائع لبناء هذا الصف.

نموذج هدم الصف

(وإذ قال موسى لقومه ياقوم لِم تؤذونني وقد تعلمون أني رسول الله إليكم فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين) [الصف:5]

الصف من الممكن أن يكون بين القائد والجنود، أو بين الجنود بعضهم البعض ، أو بين القادة بعضهم البعض.

هنا نموذج للجنود الذين يؤذون القائد، والقائد هنا نبي، وهو كليم الله موسى -عليه السلام- من أولي العزم من الرسل .

(لِمَ تؤذونني) بعض أهل العلم تكلم عن ما هو الإيذاء الذي آذوه لسيدنا موسى وعاتبهم عليه؟؟ فبنو إسرائيل لطالما آذوا موسى، وهذا سبب اختلاف العلماء.

بعض أهل العلم التقطوا هنا معنًى وقالوا: السبب -وهو أكثر سبب وإيذاء مناسب للسياق- هو رفضهم الدخول للأرض المقدسة؛ لأن الآيات تتكلم عن الجهاد والقتال ، فأشد إيذاء للقائد ألا يجد العون لنصرة الدين .

من أواخر مشاهد سيدنا موسى في القرآن، هو مشهد سورة المائدة وهو يقول: (رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي) [المائدة:25] ،

وفي السُّنة قال: رب أمتني من الأرض المقدسة رمية حجر.[[9]](#footnote-9)

لمَّا عَرف أنه لن يستطيع دخول الأرض المقدسة، وليس معه جنود قال: يارب أمتني بجوارها .

فأشد الإيذاء ألا يجد القائد عونًا ونصرة.

وجاء في نفس السورة: (كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين مَن أنصاري إلى الله) [الصف:14]، فمن أشد أنواع الإيذاء أن يسألهم العون والنصرة ولا يجد ردًّا، ولا سيما حين يطلب عونًا إلى الله ، لا لنفسه.

فهؤلاء لما زاغوا، لما أحبوا الدنيا، ولما قالوا: (إنا ها هنا قاعدون) [المائدة:24] ، ومن معنى زوغان القلب: إرادة الدنيا واتباع الهوى.

لذلك عند إصلاح الوضع قال لهم يوشع بن نون: لا يتبعني رجلٌ من ثلاث: الرجل العاقد المنتظر للزواج، والرجل الذي ينتظر ماشيته حتى تلد، أو الذي بنى بيته وينتظر إكماله[[10]](#footnote-10)...أي: الذي يؤمِّل الحياة لا يأتِ معي؛ حتى ينزع الوهن من قلوبهم، فلما نقَّى الصف من أصحاب الوهن، انتصروا .

(فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم) [الصف:5] فعندما يختار الإنسان الدنيا يجد ضعفًا، فيصرف الله قلبه عن إرادة الحق، وعن تطبيق الحق.

(والله لا يهدي القوم الفاسقين) [الصف:5] لفظ الفاسقين تكرر مرتين في آيات سورة المائدة: (فلا تأس على القوم الفاسقين (26))، وقبلها: (فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين (25)).

لذلك بعض أهل العلم قال: هذه الآية -آية الصف- تشير بكلمة (الفاسقين) إلى هذا الموقف -في المائدة- وهو موقف بني إسرائيل مع موسى، ورفضهم دخول الأرض المقدسة.

فمما يهدم الصف أن يرفض الإنسان نصرة الدين، وهذا ليس أول شيء...

نحن ذكرنا أن أول شيء هو الكلام بغير فعل، وترك الثغور، وزوغان القلب (الزوغان: التفات وميل) إنسان ليس له وجهة، دائمًا الصف الذي وِجهته واحدة، مثل القِبلة تجده مترابطًا، إنما إذا كان لكل أحدٍ وجهة، لن يستوي الصف أبدًا.

نموذج بناء الصف

(وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم) [الصف:6].

هنا سيدنا عيسى وهو من أولي العزم من الرسل - أريدكم أن تركزوا جدًّا في الكلمة التي قالها سيدنا عيسى.

بعض المفسرين (مثل الإمام الألوسي) سمى السورة: سورة عيسى، إذًا دور سيدنا عيسى عليه السلام مهم جدًّا في سورة الصف،

ما هو دوره؟

(إني رسول الله إليكم)

من أجل ماذا؟ من أجل شيئين:

الأول: مصدقًا.

الثاني: مُبشرًا.

أي أن دور سيدنا عيسى: أن يُصدِّق مَن قبله، ويُبشِّر بمَن بعده، وكأنه جاء؛ لوصل الصف.

كأن الدور المَنُوط بسيدنا عيسى بالرغم من أنه من أولي العزم من الرسل، ورسول ورُفِع في السماء، بالرغم من كل هذا نجده يتكلم عن نفسه في غاية التواضع، ويقول إنما دوري أن أُصدِّق مَن قبلي، وأُبشِّر بمَن بعدي.

وهذا دور مهم يستحق أن يُذكر ويُفهم، الناس التي تسعى لوصل الصف لها قيمة...

فحين يقول: (مصدقًا لما بين يدي من التوراة) كأنه يمسك بيد سيدنا موسى -عليه السلام-، (ومبشرًا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد) كأنه يمسك بيد سيدنا محمد -عليه الصلاة والسلام-، ليصل الصف.

(ومبشرًا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد). [الصف:6]

انظر إلى قمة التواضع، لماذا قال (اسمه أحمد) والنبي عليه الصلاة والسلام له أسماءٌ كثيرة؟

أحمد: صيغة أفعل التفضيل، أي: أكثر الناس حمدًا.

محمد: اسم مفعول، أي: أن الله –عز وجل- يحمد أفعاله مثل: محمود.

فهو أحمد أولًا... حمد الله -عز وجل-؛ فحمده الله وأثنى عليه (محمد).

إذًا بعض العلماء قالوا: جاء في الآية أحمد؛ لأنه الحال الأسبق .

ظني -والله أعلى وأعلم- وهذا أشار إليه الإمام القرطبي- قال: أي أكثر العالمين حمداً لله؛ لذلك يأتي يوم القيامة ومعه لواء الحمد، ثم يسجد بين يدي الله في مقام الشفاعة، يقول النبي -عليه الصلاة والسلام-: " ويُلْهِمُنِي مَحَامِدَ أحْمَدُهُ بهَا لا تَحْضُرُنِي الآنَ ".[[11]](#footnote-11)

فكلمة (أحمد) فيها إشارة أنه أفضل الخلق...

تخيل سيدنا عيسى -عليه السلام- يقول: سوف يأتي رسولٌ من بعدي هو أفضل مني، من صيغة أفعل تفضيل، أي أنه ليس فقط يُبشِّر، بل يقدم غيره على نفسه.

من الممكن أن يقول أحدٌ أن هناك داعية جيدٌ، لكن أن يقول أحدٌ أن هناك داعية غيري أفضل مني بكثير!!!

مثل: (وأخي هارون هو أفصح مني لساناً) [القصص:34] استخدام صيغة أفعل تفضيل مع الأقران مهمة؛ للتواضع.

انظر للدور الذي يقوم به سيدنا عيسى!!!

بهذه الأخلاق يكتمل الصف، لا بهدم مَن سَبَق وطعن مَن يأتي، لن يكتمل الصف بالانشغال بهدم السابقين...

من الممكن أن أنشغل بترميم الأخطاء السابقة، أو تبيين الأخطاء مع مدح الجهود (لا نقر أحدا على خطئه)، ولكن لو وجدت مَن هو أفضل مني أفسح له مجالًا –كما فعل موسى مع أخيه-، بل أنت مطالب أن تبحث عمن هو أفضل منك حتى تقدمه، هكذا يكتمل الصف...

غياب هذه الأخلاق يؤدي إلى انهيار الصف.

(وَإِذ قالَ عيسَى ابنُ مَريَمَ يا بَني إِسرائيلَ إِنّي رَسولُ اللَّهِ إِلَيكُم مُصَدِّقًا لِما بَينَ يَدَيَّ مِنَ التَّوراةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسولٍ يَأتي مِن بَعدِي اسمُهُ أَحمَدُ) [الصف:6]

فدور عيسى عليه السلام هنا: مصدقا ومبشرا... بالرغم أن له أدوار أخرى ذكرت في القرآن ..لكن هذا الدور خصص هنا لأهميته في جمع الصف... حتى مقام المجاهدة والبذل، أُفرد في آخر السورة (يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنوا كونوا أَنصارَ اللَّهِ كَما قالَ عيسَى ابنُ مَريَمَ لِلحَوارِيّينَ مَن أَنصاري إِلَى الله) [الصف:14]

(فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين) [الصف:6]

من بدائع اللفظة القرآنية أن المفسرين اختلفوا مَن الذي جاءهم بالبينات ، البعض قال: محمد -عليه الصلاة والسلام-، والبعض قال: عيسى -عليه السلام-، فقيل: من الجميل أن تُترك مُبهمة؛ لأن دعوتهم واحدة .

(هذا سحر مبين) اتهام دعوة الأنبياء بالسحر دائمًا؛ لأن دعوة الأنبياء لها أثر، و السحر له أثر، وكأن كلام الأنبياء له تأثير السحر، وكأن هذا الاتهام اعترافٌ بأثر دعوة النبي، ولكنهم يتهمونهم بالباطل .

(ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يُدعى إلى الإسلام والله لا يهدي القوم الظالمين). [الصف:7]

أي كيف يُطلب منه أن يُسلِم وتظهر له البينات والحجج واضحة، ثم بالرغم من ذلك يفتري على الله الكذب، ويقول على القرآن أو دعوة عيسى أنها سحر، بعدما تبينت له المعجزة، سواء في القرآن، أو في المعجزات التي جاء بها عيسى عليه السلام (أنه يكلم الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص بإذن الله)

(يريدون ليطفئوا نور الله.....) عودة مرة أخرى إلى الواقع؛ أهل الباطل وأعداء الدين (يريدون) بصيغة المضارع المستمر والجمع، فهم متجمعون باستمرار (والله متم نوره ولو كره الكافرون) [الصف:8]

مثل ما ذكرنا في أول السورة: كيف تسأل ما هي أحب الأعمال إلى الله،وأنت في واقعٍ الكل متكالب على هدم هذا الدين؟!! الكل يحاول ليس فقط تقليل أو تحجيم الدين، بل الكل متكالب على هدم هذا الدين، يريدون إطفاء الدين، النار حين تنطفئ لا تقوم، هم لا يريدون تقليل انتشار الدين، بل يريدون أن يستأصلوا شأفة هذا الدين، كما حاولوا في غزوة الأحزاب.

(يُريدونَ لِيُطفِئوا) الإطفاء التام، يريد أن ينطفئ النور وينتهي ، حتى لا يبقى نور للناس، لاتظن أنهم يريدون أن يقللوا ويحجموا الاسلام فقط ...لا!!

قال بعض العلماء: نور الله هو القرآن (وَكَذلِكَ أَوحَينا إِلَيكَ روحًا مِن أَمرِنا ما كُنتَ تَدري مَا الكِتابُ وَلَا الإيمانُ وَلكِن جَعَلناهُ نورًا) [الشوري:52]

يريد أن يجعل القرآن شيء منطفئ عند الناس، ليس له قيمة، من المفترض أن القرآن يصنع جذوة... يُوقِد كما قال الله تعالى: (اللَّهُ نورُ السَّماواتِ وَالأَرضِ مَثَلُ نورِهِ كَمِشكاةٍ فيها مِصباحٌ المِصباحُ في زُجاجَةٍ الزُّجاجَةُ كَأَنَّها كَوكَبٌ دُرِّيٌّ يوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ) [النور:35]

ففطرة الإنسان تُوقَد من القرآن، هذا من معاني المثل في سورة النور، هذا الوقود وهذه الطاقة التي يصنعها القرآن في صدر الإنسان، هم يريدون إطفاء هذا النور، لا يريدون أي أثر للقرآن في صدور الناس.

(بِأَفواهِهِم): سواء بشُبهات أو بكلام مقابل لصرف الناس عن القرآن، وقال بعض العلماء: هذا المثل بمحاولات هدم هذا الدين، أشبه بمن يحاول أن يُطفئ الشمس بنفخة من فمه، أي أن الله يقول لك: أن محاولات هدم هذا الدين أشبه بمجموعة اجتمعت، ظلوا ينفخوا ليطفئوا الشمس (مشهد مُضحك)!!

(والله متم نوره ولو كره الكافرون) [الصف:8]

هذه هي العاقبة، أن الدين سيستمر، بالرغم من كل الطعنات التي تُوجَه له، إلا أن الله عزوجل يغرس لهذا الدين غرساً بيده سبحانه وتعالى، ولا تزال طائفة من أُمة محمد صلى الله عليه وسلم قائمة على هذا الدين، لا يَضُرها من خذلها ولا من خالفها.

في سورة التوبة: (يُريدونَ أَن يُطفِئوا) [اية:32]

في سورة الصف: (يُريدونَ لِيُطفِئوا) [اية:8]

من معاني اللام: الرغبة الشديدة والسرعة، فتخيل أنت تسمع عن هذه المحاولات المستمرة المتجمعة، بصيغة المضارع الجمع المستمر، ثم تسأل ما هي أحب الأعمال إلى الله!!!

تخيل أن هناك نازلة في منزلك، والوالد منهمك، والوالدة مشغولة، بمرض أو فقر أو ... وأنت تلعب وتلهو ويأتي الوالد يقول لك: أنت ترى كل هذا و تلعب وتلهو!!!

فتجيب: أنا لا أعلم ما المطلوب مني!!!

عجبا!!

افعل أي شئ، خذّل عنا ما استطعت...

لا تعرف ماذا تفعل!!! »»» ابحث وحاول... افعل أي شيء سوى هذه الحالة من اللامبالاة.

القضية هُنا أن الإنسان لا يبالي... ثم يسأل ماذا عليّ أن أفعل!!!

أن تكون لاتعلم ولكن تبحث؛ شيء... وأن تكون لا تعلم وتلهو ولا تبالي؛ شيء آخر ... هناك فرق.

الإنسان قد يُعذر إن سار في الطريق (ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله) [النساء:100] .... يدركه الموت قبل أن يصل

القضية فيمن لا يبالي؛ ثم يسأل، ثم بعد ما تأتيه الإجابة الواضحة »»» لا يطبق!!!

والآية هنا فيها عتاب لهؤلاء.

(وَاللَّهُ مُتِمُّ نورِهِ وَلَو كَرِهَ الكافِرونَ) [الصف:8]

الله -سبحانه وتعالى- غني عن المعرضين، وهي أشبه بالآية الأولى (سَبَّحَ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الأَرض) [الصف:1] وأيضا (ولله جنود السماوات والأرض) [الفتح:4]

الحمدلله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده محمد صلى الله عليه وسلم.

(يُريدونَ لِيُطفِئوا نور الله بأفواههم وَاللَّهُ مُتِمُّ نورِهِ وَلَو كَرِهَ الكافِرونَ) [الصف:8]

عمل مضحك أن يجتمع جماعة، يحاولون إطفاء نور الشمس بنفخات من أفواههم!! وانظر أيضا إلى هذه الجريمة التي يرتكبونها، فالذي يريد أن يمنع عن الناس نور الشمس، هو مجرم والذي يريد أن يمنع الوحي عنهم هو أشد إجراما، بل أشد إجراما ممن يريد أن يمنع عنهم الطعام والشراب، فهم أشد حاجة للوحي منه للطعام والشراب.

(والله متم نوره) الأمر سيصل للتمام حتمًا.

فالإنسان حينما يعمل لنُصرة هذا الدين، فهو يبحث عن مكان لنفسه في الجنة، الدين سينتصر سينتصر، الله ينصر هذا الدين ولو بالرجل الفاجر، فمن ينصر الدين لايظن أنه يقدم خدمة عظيمة للدين، هو يُقدم خدمة عظيمة لنفسه؛ أن ينال شرف المساهمة في نصرة الدين.

(وَلَو كَرِهَ الكافِرونَ) إشارة إلى أنه لا يُشترَط رضا كل الناس، الدين سينتشر وهناك فئة من الناس رافضة بل وتكره ذلك (أي تكره ما يفعله أهل الإيمان)، بمعنى لو أننا نود أن نصل إلى صيغة تُرضي كل الناس عن الإسلام، فهذا لن يحدث، وإلا لن يكون إسلامًا، سيظل هناك أناس يكرهون ذلك، وسينتشر الدين رغمًا عنهم...بعز عزيز أو بذل ذليل.

(هُوَ الَّذي أَرسَلَ رَسولَهُ بِالهُدى وَدينِ الحَقِّ لِيُظهِرَهُ عَلَى الدّينِ كُلِّهِ) [الصف:9] بداية النصرة كانت بإرسال محمد صلى الله عليه وسلم.

بعض أهل العلم قال: الظهور على الدين كله والتمام سيكون بنزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان، وقال البعض: قبل نزول عيسى عليه السلام وقد حدث ذلك في وقت من الأوقات.

منهج عملي

(يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنوا هَل أَدُلُّكُم عَلى تِجارَةٍ تُنجيكُم مِن عَذابٍ أَليمٍ) [الصف:10]

كأنه سبحانه وتعالى بعد أن قال لهم: (لِمَ تَقولونَ ما لا تَفعَلونَ) [الصف:2]

كأنه سبحانه وتعالى يقول لهم: دعكم من الكلام، هل أدلكم على عمل؟

(تُنجيكُم مِن عَذابٍ أَليمٍ) [الصف:10] دافع البذل هو أن ينجو الإنسان من النار، حتى لو ذهب إلى الجهاد لا يذهب متفضلًا، بل لأنه محتاج أن ينجو من النار، وليحجز لنفسه مقعداً في الجنة.

(تؤمنون بالله ورسوله....) الإيمان أولًا لأنه هو الذي يدفع للجهاد.

(وَتُجاهِدونَ في سَبيلِ الله....) [الصف:11] لفظ الجهاد، غير لفظ القتال، غير لفظة النصرة

أول ما ذُكر: (القتال) وهو الأخص فيهم... فيأتي فقط مع المعارك، ثم (الجهاد) فيه سعة قليلاً لأن الله تعالى قال (وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم) [الصف:11]... بذل المال وبذل المشقة لنصرة الدين، ثم (النصرة) وهو أوسع في المعنى، فنجد أن المعاني تتسع.

قتال»»» جهاد»»» نصرة.

بمعنى أن الإنسان الذي لا يستطيع أن يقاتل»»» يجاهد، والذي لا يستطيع أن يجاهد»»» ينصر، ليس هناك عذر، افعل أي شيء، خذّل عنّا ما استطعت، أي شيء تستطيع أن تقدمه لهذا الدين افعله، لا سيما في هذه الأوقات (أوقات الاستضعاف وتكالب الأمم).

(وَتُجاهِدونَ في سَبيلِ اللَّهِ بِأَموالِكُم وَأَنفُسِكُم) [الصف:11] كل آيات الجهاد في القرآن قُدم فيها المال قبل النفس، إلا آية واحدة (إِنَّ اللَّهَ اشتَرى مِنَ المُؤمِنينَ أَنفُسَهُم وَأَموالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ) [التوبة:111] لأن نفس المؤمن غالية عند الله عزَّ وجل، أما عندما يطلب الله منا الجهاد دائماً يقول لنا: جاهدوا بأموالكم وأنفسكم، لأن المال عزيز عند الإنسان.

(يَغفِر لَكُم ذُنوبَكُم) [الصف:12]استحضار تقصير الإنسان حتى وهو يجاهد.

(وَمَساكِنَ طَيِّبَةً) الجزاء من جنس العمل، فبدل السكن الذي يتركه الإنسان، ويذهب للجهاد ونصرة الدين، يبدل بمساكن طيبة ... لم يكن يعيش في حالة من السكن، فيجازى بمساكن طيبة.

(جَنّاتِ عَدنٍ) من معاني عدن: الاستقرار.

(ذلِكَ الفَوزُ العَظيمُ) [الصف:12] ليس الفوز العظيم مجرد الانتصار على الكفار، بالرغم من ذكر النصر في الآية بعدها (نَصرٌ مِنَ الله وَفَتحٌ قَريبٌ) [الصف:13]

(ذلِكَ الفَوزُ العَظيمُ) جاءت مع الجنة لأنه ينبغي لمن ينصر الدين، أن يكون الهدف الأساسي عنده هو الجنة، قبل تحقيق النصر، لأنه من الممكن أن يُهزم أو يُقتل (فَيُقتَل أَو يَغلِب) [النساء:74]القتل جاء قبل الانتصار.

(وَأُخرى تُحِبّونَها) [الصف:13] مراعاة النفس البشرية، النفس تحب أن ترى شيئًا من ذلك في الدنيا، ويخبرنا الله تعالى أن النفس تحب ذلك، فالله عزوجل خبير بهذه النفس، ويعلم أنها تحب أن ترى شيئاً من العاجلة.

(وَأُخرى تُحِبّونَها) سيمُن الله عليكم أو على بعضكم، برؤية بعض النصر (فَإِمّا نُرِيَنَّكَ بَعضَ الَّذي نَعِدُهُم) [غافر:77]

(وَفَتحٌ قَريبٌ) قيل: إشارة إلى فتح مكة، وقد كان، وهذه من الآيات التي فيها إعجاز غيبي.

(وَبَشِّرِ المُؤمِنينَ) [الصف:13] بانتصار هذا الدين، النفس تحب أن ترى شيئًا، فقط أريد إشارات كي أُكمل في الطريق .

(يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنوا كونوا أَنصارَ الله) [الصف:14] هناك فرق بين انصروا الله، وبين كونوا أنصار الله ...

انصروا الله: أي مرة، أو افعل كذا مرة في كذا، في الموضع الفلاني فقط.

أما كونوا أنصار الله: أنت تتغير (الكينونة) حياتك تتغير ، هناك استقرار وثبات وتميز في العمل لنصرة الدين.

كان من الممكن أن يأتي الأمر بانصروا الله لكن جاء (كونوا أَنصارَ الله) أي: لتتحول حياتك كلها لنصرة هذا الدين، تكون وظيفتك الأساسية أن تنصر دين الله .

ألم تكن تسأل أي الأعمال أحب إلى الله؟؟

(يقاتلون) (تجاهدون) (كونوا أنصار الله) هذه هي الأعمال التي وردت في السورة.

(يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنوا كونوا أَنصارَ اللَّهِ كَما قالَ عيسَى ابنُ مَريَمَ لِلحَوارِيّينَ مَن أَنصاري إِلَى اللَّهِ قالَ الحَوارِيّونَ نَحنُ أَنصارُ الله) [الصف:14]

من أهم الأمور لإقامة الصف: وجود الحواريين.

المراد بالحواري

الحواري: اختلف في اشتقاقها؛ هل هي غير عربية وعُرّبَت، أم لها أصل في اللغة.

من معانيها: الصفاء والنقاء والخلوص.

رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم: "لكل نبي حواري وحواريّي الزبير رضي الله عنه"[[12]](#footnote-12)

فالحواري هو الذي فيه صفاء ونقاء وخلوص، الحواري حياته صافية خالصة لنُصرة النبي صلى الله عليه وسلم، حياتهم ليس بها شائبة، بل حياة خالصة لنصرة الدين.

ووجود طائفة الحواريين الخالصة المضحية، هي التي يقوم على أساسها الدعوات، وبغياب هذه الطائفة، وانتظار أن يضحى فلان أو يبذل... لا تقوم الدعوات.

فالحواريون أساس لإقامة الدعوات ولإقامة الصف، هم النواة الصلبة لأي عمل؛ فإن أي عمل يحتاج إلى كوادر تؤمن به.

فلو أن هناك 50 أو 100 أو 200 شخص يريدون القيام بعمل لنصرة الدين، ولكن لا يوجد بينهم مجموعة مؤمنة صافية خالصة، فهذا العمل لن يقوم، وأيضاً لو أن درجة إيمانهم بالعمل بسيطة أو ضعيفة، فلن يقوم هذا العمل كذلك، فلابد من وجود نواة صلبة مخلصة، حتى وإن أعرض جميع الناس، أو كان بذلهم كلهم ضعيف، هؤلاء الحواريين سيكون بذلهم أعلى، فهم مهمون جداً في إقامة الصف؛ لذا أطلق بعض العلماء على هذه السورة اسم "سورة الحواريين"كما ذكر السيوطي في الإتقان .

(ياأيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله) [الصف:14] هذا هو وقت الاستضعاف، يريدون قتل سيدنا عيسى وهو يطلب النصرة في هذا الوقت، ياله من أمر صعب، أن يقوم الناس لذلك وينصروه، ولذا قال بعض أهل العلم إن هذه الآيات، نزلت بعد محاولات قتل النبي صلى الله عليه وسلم في أحد، فكان فيها ثناء على من صمد وثبت في أحد، وعتاب على من فر؛ فقد همَّ الأعداء بقتل النبي صلّى الله عليه وسلمّ.

(من أنصاري إلى الله) كأنه طريق نسير فيه سويًّا، حتى نصل إلى مراد الله، قال بعض أهل العلم أنه يوجد في الآية محذوف، وهو كونوا أنصار (دين) الله.

(فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين) [الصف:14]

هذه الآية فيها خلاف: من الذين أيدهم الله على العدو؟؟

لأن المعروف أنه في زمن سيدنا عيسى تم استضعاف النصارى، وعُذّبوا وشُرِّدوا وقُتلوا، ففروا إلى الصحراء، وترهبنوا في الصوامع، ونال أغلبهم الشهادة، بعد أن صبر على التعذيب هؤلاء الطائفة المؤمنة.

وأما الطائفة الكافرة فهي التي قالت أن المسيح هو الله، أو أن المسيح هو ابن الله، أو ثالث ثلاثة -تعالى الله عمّا يقولون-.

فكثير من أهل العلم قال في قوله (فأيدنا الذين آمنوا)

أن تلك الطائفة ظلت مُستضعفة حتى حدث التأييد، وذلك ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم، ليجدد العهد والميثاق بأن عيسى هو عبدالله ورسوله، فلما آمنت هذه الطائفة بالنبي صلى الله عليه وسلم، وانتصر النبي صلى الله عليه وسلم كان ذلك نصرة لهم، فكثير من أهل العلم قال في قوله (فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين) [الصف:14] أي ببعثة محمد، ظاهرين بالقوة.

وهناك مجموعة أخرى من أهل العلم، قالوا بأنهم قد ظلوا مستضعفين، وعُذِبوا وماتوا ونالوا الشهادة، وأن النصارى الذين حافظوا على أن المسيح هو عبدالله ورسوله؛ أغلبهم مات، وأن كلمة (فأصبحوا ظاهرين) أي بالحجة، فكانت لديهم الحجة القوية إلى أن ماتوا، لم يُبَدّلوا ولم يُغَيّروا، وكانت حجتهم قوية.

فإما ظاهرين بالقوة أو بالحجة.

وبماذا يفيدنا ذلك كأمة مسلمة ؟؟؟

إذا قلنا ظاهرين بالقوة، هنا كأنه إشارة للمعنى الذي ذكرته في البداية؛ في معنى الرهبانية في سورة الحديد ، أنه قد انقضت الرهبانية، ولا توجد في الإسلام رهبانية.

وقد ذكر بعض العلماء أن من أسباب نزول هذه الآيات، ذهاب سيدنا عثمان بن مظعون للنبي علي الصلاة والسلام، وقد أراد أن يختصي، وينهي الشهوة عنده حتى يتعبد ويترهبن ويبتعد عن الدنيا، فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم وقال "إن رهبانية أمتي في الجهاد". حديث مرسل[[13]](#footnote-13)

هذا لأن هذا المبدأ الفكري (أي الرهبانية) يجعل الصالحين بمعزل عن مجتمعاتهم مما يساهم في انتشار الفسق، فكانت هذه إشارة بالنهي عن هذا الفعل، في دعوة النبي صلى الله عليه وسلم، وأن يكونوا ظاهرين بالقوة.

أو أنه إشارة -لو أن مجموعة فعلا في حال من الاستضعاف ولم يستطيعوا فعل أي شيء- فما المغزى هنا ...وما الذي يمكنهم فعله وتقديمه؟!

كونوا أنصار الله كما كان هؤلاء المستضعفين أنصار الله، وماتوا شهداء، وحافظوا على الحق (حافظوا على الحق ولو متم شهداء)

الله سبحانه وتعالى قال: أنه يحب الذين يقاتلون، حسنا... فلنفرض أني غير قادر على ذلك؟ »»» جاهد ..

افترض أنك غير قادر على الجهاد؟ مت شهيداً، لكن مت على الحق، كما مات الحواريون، وغيرهم على الحق.. فليس لديك عذر، لكن لاتبدل ولاتغير.

كما قال تعالى

(من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا) [الأحزاب:23]

الشاهد الجامع للاثنين (وما بدلوا تبديلا) أن الحواريين لم يبدلوا، وماتوا وهم ظاهرون بالحجة أو بالقوة.

نكتفي بهذا القدر ونسأل الله عزوجل أن يعلمنا وأن يفهمنا.

سؤال وجواب

هناك بعض الأسئلة:

\_ سؤال عن كتاب إشراقات قرآنية للشيخ سلمان العودة: هو كتاب جيد وأنصح بقراءته.

\_سؤال عن آية (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها) هذا تقرير من الله تعالى، أنه لا يكلف نفسا إلا وسعها، وفي نهاية الآية دعاء المؤمنين (ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به)، فكيف يدعو المؤمن ألا يحمله الله مالا طاقة له به، ثم إن الله يقول أنه لا يكلف نفسا إلا وسعها؟

الجواب: تحتاج هذه الآية إلى شرح طويل، وأوسع من استفاض فيها وبيّن هذا الإشكال: شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى، وأظن أني قد تحدثت عنها في سورة الأعراف، في الآيات التي تناولت موسى عليه السلام عندما ألقى الألواح وفي نسختها،

وقلنا أنه أحيانًا ما يرفع جزء من الدين، وأن دعاء ( ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به) بالرغم من أنه عز وجل لم يكلفك إلا الوسع، لكن أحياناً نرى الإنسان لا يفقه التكليف أصلاً، أي أن تكليف الله وشرعه على قدر وسعنا، لكن أحيانا تُبتلى بعلماء سوء، أو أحيانًا تُبتلى بجهل، أو عدم بذل أن تفهم الدين، فتعيش في عنت،فمن معاني (لا تحملنا مالا طاقة لنا به): أن تفقه الدين الحقيقي حتى لا تعيش في عنت.

وقد استفاض شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا المعنى، أو أنها قد تكون من الآيات التي بها دلالة كي تتذكر هذه النعمة: أن المسلمين قد دعوا بهذا الدعاء (ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به) فقال الله عزوجل كما في صحيح مسلم : قد فعلت...[[14]](#footnote-14) فنقرأ هذه الآيات حتى نتذكر هذه النعمة والمنة علينا.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك وجزاكم الله خيرا.

1. - [عن أبي ذر الغفاري:] " أُوصيكَ بتقوى اللهِ؛ فإنها رأسُ الأمرِ كلِّه قلتُ: يا رسولَ اللهِ ! زِدْنِي. قال: عليك بتلاوةِ القرآنِ، وذِكرِ اللهِ؛ فإنَّهُ نورٌ لك في الأرضِ، وذخرٌ لك في السماءِ قلتُ: يا رسولَ اللهِ ! زِدْني. قال: إياك وكثرةَ الضحكِ؛ فإنَّهُ يُميتُ القلبَ، ويذهبُ بنورِ الوجهِ قلتُ: يا رسولَ اللهِ ! زِدْنِي. قال: عليك بالجهادِ؛ فإنَّهُ رهبانيةُ أُمَّتِي... قلتُ: يا رسولَ اللهِ ! زدني. قال: أَحِبَّ المساكين وجالِسْهُمْ. قلتُ: يا رسولَ اللهِ ! زدني. قال: انظر إلى من هو تحتَك، ولا تنظر إلى من هو فوقَك؛ فإنَّهُ أجدرُ أن لا تزدري نعمةَ اللهِ عندَك قلتُ: يا رسولَ اللهِ ! زِدْنِي. قال: قُلِ الحقَّ وإن كان مُرًّا...." /الألباني (١٤٢٠ هـ)، صحيح الترغيب ٢٢٣٣ • صحيح لغيره [↑](#footnote-ref-1)
2. - [عن عبدالله بن سلام:] تَذاكَرْنا أيُّكُم يَأْتي رسولَ اللهِ فيَسْألُه: أيُّ الأعْمالِ أحَبُّ إلى اللهِ؟ فلم يَقُمْ أحَدٌ منّا، فأرْسَلَ إلينا رسولُ اللهِ رَجُلًا فجَمَعَنا، فقَرَأ علينا هذه السُّورةَ، يَعْني سُورةَ الصَّفِّ كُلَّها. /شعيب الأرنؤوط (١٤٣٨ هـ)، تخريج المسند ٢٣٧٨٨ • إسناده صحيح على شرط الشيخين من حديث يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة بن عبد الرحمن. وأما رواية يحيى بن أبي كثير عن عطاء بن يسار ففيها انقطاع [↑](#footnote-ref-2)
3. - [عن أبي أمامة الباهلي:] "ما ضَلَّ قومٌ بعدَ هُدًى كانوا عليهِ إلّا أوتوا الجدَلَ" ثمَّ تلا رسولُ اللَّهِ هذهِ الآيةَ (ما ضَرَبُوهُ لَكَ إِلّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ) [الزخرف:58] / الألباني (١٤٢٠ هـ)، صحيح الترمذي ٣٢٥٣ • حسن • أخرجه الترمذي (٣٢٥٣) واللفظ له، وابن ماجه (٤٨)، وأحمد (٢٢١٦٤) [↑](#footnote-ref-3)
4. - [عن أبي هريرة:] "إنَّ مَثَلِي ومَثَلَ الأنْبِياءِ مِن قَبْلِي، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنى بَيْتًا فأحْسَنَهُ وأَجْمَلَهُ، إلّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِن زاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النّاسُ يَطُوفُونَ به، ويَعْجَبُونَ له، ويقولونَ هَلّا وُضِعَتْ هذِه اللَّبِنَةُ؟ قالَ: فأنا اللَّبِنَةُ وأنا خاتِمُ النبيِّينَ."/ البخاري (٢٥٦ هـ)، صحيح البخاري ٣٥٣٥ • [صحيح] [↑](#footnote-ref-4)
5. - [عن البراء بن عازب:] قُمْنا إلى الصلاةِ بمِنًى، والإمامُ لم يَخرُجْ، فقعَدَ بعضُنا، فقال لي شيخٌ من أهلِ الكوفةِ: ما يُقعِدُكَ؟ قُلْتُ: ابنُ بُرَيدةَ، قال: هذا السُّمودُ، فقال الشيخُ: حدَّثَني عبدُ الرحمنِ بن عَوْسَجةَ، عنِ البَراءِ بنِ عازبٍ قال: كُنّا نَقومُ في الصفوفِ على عَهدِ رَسولِ اللهِ = = صلّى اللهُ عليه وسلَّمَ طويلًا قبلَ أنْ يُكبِّرَ. قال: وقال: "إنَّ اللهَ ومَلائكتَه يُصلُّونَ على الذين يَلونَ الصفوفَ الأُوَلَ، وما من خُطوةٍ أحبَّ إلى اللهِ من خُطوةٍ يَمْشيها يَصِلُ بها صفًّا"./ شعيب الأرنؤوط (١٤٣٨ هـ)، تخريج سنن أبي داود ٥٤٣ • ضعيف بهذا السياق • "إن الله وملائكته يصلون على الذين يلون الصفوف الأول" [روي] بإسناد صحيح. • "ما من خطوة ... " شاهد [↑](#footnote-ref-5)
6. - [عن عبدالله بن عمر:] "أَقيموا الصُّفوفَ، فإنما تصُفُّون بصفوفِ الملائكةِ، وحاذوا بين المناكبِ، وسُدُّوا الخَلَلَ، ولِينوا بأيدي إخوانِكم، ولا تذَروا فُرُجاتٍ للشيطانِ، ومن وصل صفًّا وصلَه اللهُ، ومن قطع صفًّا قطعه اللهُ عزَّ وجلَّ" / الألباني (١٤٢٠ هـ)، صحيح الجامع ١١٨٧ • صحيح • أخرجه أبو داود (٦٦٦)، وأحمد (٥٧٢٤)، والطبراني (١٣/٣١٩) (١٤١١٣) واللفظ له [↑](#footnote-ref-6)
7. - [عن أنس بن مالك:] "رُصُّوا صفوفَكم وقرِّبوا بيْنَها وحاذوا بالأعناقِ فوالَّذي نفسي بيدِه إنِّي لَأرى الشَّيطانَ يدخُلُ مِن خَلَلِ الصُّفوفِ كأنَّها الحَذَفُ" /شعيب الأرنؤوط (١٤٣٨ هـ)، تخريج صحيح ابن حبان ٦٣٣٩ • إسناده صحيح على شرط الشيخين [↑](#footnote-ref-7)
8. - [عن عائشة أم المؤمنين:] سَأَلْتُ أُمَّ المُؤْمِنِينَ عائِشَةَ، قُلتُ: يا أُمَّ المُؤْمِنِينَ، كيفَ كانَ عَمَلُ النبيِّ صَلّى اللهُ عليه وسلَّمَ، هلْ كانَ يَخُصُّ شيئًا مِنَ الأيّامِ؟ قالَتْ: لا، كانَ عَمَلُهُ دِيمَةً، وأَيُّكُمْ يَسْتَطِيعُ ما كانَ النبيُّ صَلّى اللهُ عليه وسلَّمَ يَسْتَطِيعُ. / البخاري (٢٥٦ هـ)، صحيح البخاري ٦٤٦٦ • [صحيح] • أخرجه البخاري (٦٤٦٦) واللفظ له، ومسلم (٧٨٣) [↑](#footnote-ref-8)
9. - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عنْه، قالَ: "أُرْسِلَ مَلَكُ المَوْتِ إلى مُوسى عليهما السَّلامُ، فَلَمّا جاءَهُ صَكَّهُ، فَرَجَعَ إلى رَبِّهِ، فَقالَ: أَرْسَلْتَنِي إلى عَبْدٍ لا يُرِيدُ المَوْتَ، قالَ: ارْجِعْ إلَيْهِ فَقُلْ له يَضَعُ يَدَهُ على مَتْنِ ثَوْرٍ، فَلَهُ بما غَطَّتْ يَدُهُ بكُلِّ شَعَرَةٍ سَنَةٌ، قالَ: أَيْ رَبِّ، ثُمَّ ماذا؟ قالَ: ثُمَّ المَوْتُ، قالَ: فالْآنَ، قالَ: فَسَأَلَ اللَّهَ أَنْ يُدْنِيَهُ مِنَ الأرْضِ المُقَدَّسَةِ رَمْيَةً بحَجَرٍ"، قالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَقالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ:" لو كُنْتُ ثَمَّ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ، إلى جانِبِ الطَّرِيقِ تَحْتَ الكَثِيبِ الأحْمَرِ" قالَ وأَخْبَرَنا مَعْمَرٌ، عن هَمّامٍ، حَدَّثَنا أَبُو هُرَيْرَةَ، عَنِ النبيِّ ﷺ نَحْوَهُ.

   البخاري (٢٥٦ هـ)، صحيح البخاري ٣٤٠٧ • [صحيح] [↑](#footnote-ref-9)
10. - [عن أبي هريرة:] غَزا نَبِيٌّ مِنَ الأنْبِياءِ، فَقالَ لِقَوْمِهِ: لا يَتْبَعْنِي رَجُلٌ مَلَكَ بُضْعَ امْرَأَةٍ، وهو يُرِيدُ أَنْ يَبْنِيَ بها؟ ولَمّا يَبْنِ بها، ولا أَحَدٌ بَنى بُيُوتًا ولَمْ يَرْفَعْ سُقُوفَها، ولا أَحَدٌ اشْتَرى غَنَمًا أَوْ خَلِفاتٍ وهو يَنْتَظِرُ وِلادَها، فَغَزا فَدَنا مِنَ القَرْيَةِ صَلاةَ العَصْرِ أَوْ قَرِيبًا مِن ذلكَ، فَقالَ لِلشَّمْسِ: إنَّكِ مَأْمُورَةٌ وأَنا مَأْمُورٌ اللَّهُمَّ احْبِسْها عَلَيْنا، فَحُبِسَتْ حتّى فَتَحَ اللَّهُ عليه، فَجَمع الغَنائِمَ، فَجاءَتْ يَعْنِي النّارَ لِتَأْكُلَها، فَلَمْ تَطْعَمْها فَقالَ: إنَّ فِيكُمْ غُلُولًا، فَلْيُبايِعْنِي مِن كُلِّ قَبِيلَةٍ رَجُلٌ، فَلَزِقَتْ يَدُ رَجُلٍ بيَدِهِ، فَقالَ: فِيكُمُ الغُلُولُ، فَلْيُبايِعْنِي قَبِيلَتُكَ، فَلَزِقَتْ يَدُ رَجُلَيْنِ أَوْ ثَلاثَةٍ بيَدِهِ، فَقالَ: فِيكُمُ الغُلُولُ، فَجاؤُوا برَأْسٍ مِثْلِ رَأْسِ بَقَرَةٍ مِنَ الذَّهَبِ، فَوَضَعُوها، فَجاءَتِ النّارُ، فأكَلَتْها ثُمَّ أَحَلَّ اللَّهُ لَنا الغَنائِمَ رَأى ضَعْفَنا، وعَجْزَنا فأحَلَّها لَنا. /البخاري (٢٥٦ هـ)، صحيح البخاري ٣١٢٤ • [صحيح] • أخرجه البخاري (٣١٢٤)، ومسلم (١٧٤٧) واللفظ له [↑](#footnote-ref-10)
11. - [عن أنس بن مالك:] اجْتَمَعْنَا نَاسٌ مِن أهْلِ البَصْرَةِ فَذَهَبْنَا إلى أنَسِ بنِ مَالِكٍ، وذَهَبْنَا معنَا بثَابِتٍ البُنَانِيِّ إلَيْهِ يَسْأَلُهُ لَنَا عن حَديثِ الشَّفَاعَةِ، فَإِذَا هو في قَصْرِهِ فَوَافَقْنَاهُ يُصَلِّي الضُّحَى، فَاسْتَأْذَنَّا، فأذِنَ لَنَا وهو قَاعِدٌ علَى فِرَاشِهِ، فَقُلْنَا لِثَابِتٍ: لا تَسْأَلْهُ عن شيءٍ أوَّلَ مِن حَديثِ الشَّفَاعَةِ، فَقالَ: يا أبَا حَمْزَةَ هَؤُلَاءِ إخْوَانُكَ مِن أهْلِ البَصْرَةِ جَاؤُوكَ يَسْأَلُونَكَ عن حَديثِ الشَّفَاعَةِ، فَقالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قالَ: "إذَا كانَ يَوْمُ القِيَامَةِ مَاجَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ في بَعْضٍ، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فيَقولونَ: اشْفَعْ لَنَا إلى رَبِّكَ، فيَقولُ: لَسْتُ لَهَا، ولَكِنْ علَيْكُم بإبْرَاهِيمَ فإنَّه خَلِيلُ الرَّحْمَنِ، فَيَأْتُونَ إبْرَاهِيمَ، فيَقولُ: لَسْتُ لَهَا، ولَكِنْ علَيْكُم بمُوسَى فإنَّه كَلِيمُ اللَّهِ، فَيَأْتُونَ مُوسَى فيَقولُ: لَسْتُ لَهَا، ولَكِنْ علَيْكُم بعِيسَى فإنَّه رُوحُ اللَّهِ، وكَلِمَتُهُ، فَيَأْتُونَ عِيسَى، فيَقولُ: لَسْتُ لَهَا، ولَكِنْ علَيْكُم بمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَيَأْتُونِي، فأقُولُ: أنَا لَهَا، فأسْتَأْذِنُ علَى رَبِّي، فيُؤْذَنُ لِي، ويُلْهِمُنِي مَحَامِدَ أحْمَدُهُ بهَا لا تَحْضُرُنِي الآنَ، فأحْمَدُهُ بتِلْكَ المَحَامِدِ، وأَخِرُّ له سَاجِدًا، فيَقولُ: يا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وسَلْ تُعْطَ، واشْفَعْ تُشَفَّعْ، فأقُولُ: يا رَبِّ، أُمَّتي أُمَّتِي، فيَقولُ: انْطَلِقْ فأخْرِجْ منها مَن كانَ في قَلْبِهِ مِثْقَالُ شَعِيرَةٍ مِن إيمَانٍ، فأنْطَلِقُ فأفْعَلُ، ثُمَّ أعُودُ، فأحْمَدُهُ بتِلْكَ المَحَامِدِ، ثُمَّ أخِرُّ له سَاجِدًا، فيُقَالُ: يا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وسَلْ تُعْطَ، واشْفَعْ تُشَفَّعْ، فأقُولُ: يا رَبِّ، أُمَّتي أُمَّتِي، فيَقولُ: انْطَلِقْ فأخْرِجْ منها مَن كانَ في قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ - أوْ خَرْدَلَةٍ - مِن إيمَانٍ فأخْرِجْهُ، فأنْطَلِقُ، فأفْعَلُ، ثُمَّ أعُودُ فأحْمَدُهُ بتِلْكَ المَحَامِدِ، ثُمَّ أخِرُّ له سَاجِدًا، فيَقولُ: يا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وسَلْ تُعْطَ، واشْفَعْ تُشَفَّعْ، فأقُولُ: يا رَبِّ أُمَّتي أُمَّتِي، فيَقولُ: انْطَلِقْ فأخْرِجْ مَن كانَ في قَلْبِهِ أدْنَى أدْنَى أدْنَى مِثْقَالِ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِن إيمَانٍ، فأخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ، فأنْطَلِقُ فأفْعَلُ فَلَمَّا خَرَجْنَا مِن عِندِ أنَسٍ قُلتُ لِبَعْضِ أصْحَابِنَا: لو مَرَرْنَا بالحَسَنِ وهو مُتَوَارٍ في مَنْزِلِ أبِي خَلِيفَةَ فَحَدَّثْنَاهُ بما حَدَّثَنَا أنَسُ بنُ مَالِكٍ، فأتَيْنَاهُ فَسَلَّمْنَا عليه، فأذِنَ لَنَا فَقُلْنَا له: يا أبَا سَعِيدٍ، جِئْنَاكَ مِن عِندِ أخِيكَ أنَسِ بنِ مَالِكٍ، فَلَمْ نَرَ مِثْلَ ما حَدَّثَنَا في الشَّفَاعَةِ، فَقالَ: هِيهْ فَحَدَّثْنَاهُ بالحَديثِ، فَانْتَهَى إلى هذا المَوْضِعِ، فَقالَ: هِيهْ، فَقُلْنَا لَمْ يَزِدْ لَنَا علَى هذا، فَقالَ: لقَدْ حدَّثَني وهو جَمِيعٌ مُنْذُ عِشْرِينَ سَنَةً فلا أدْرِي أنَسِيَ أمْ كَرِهَ أنْ تَتَّكِلُوا، قُلْنَا: يا أبَا سَعِيدٍ فَحَدِّثْنَا فَضَحِكَ، وقالَ: خُلِقَ الإنْسَانُ عَجُولًا ما ذَكَرْتُهُ إلَّا وأَنَا أُرِيدُ أنْ أُحَدِّثَكُمْ حدَّثَني كما حَدَّثَكُمْ به، قالَ: ثُمَّ أعُودُ الرَّابِعَةَ فأحْمَدُهُ بتِلْكَ المَحَامِدِ، ثُمَّ أخِرُّ له سَاجِدًا، =فيُقَالُ: يا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وقُلْ يُسْمَعْ، وسَلْ تُعْطَهْ، واشْفَعْ تُشَفَّعْ، فأقُولُ: يا رَبِّ ائْذَنْ لي فِيمَن قالَ: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، فيَقولُ: وعِزَّتي وجَلَالِي، وكِبْرِيَائِي وعَظَمَتي لَأُخْرِجَنَّ منها مَن قالَ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ". / البخاري (٢٥٦ هـ)، صحيح البخاري ٧٥١٠ • [صحيح] • أخرجه البخاري (٧٥١٠) واللفظ له، ومسلم (١٩٣) [↑](#footnote-ref-11)
12. - [عن جابر بن عبدالله:] قالَ رَسولُ اللَّهِ يَومَ الأحْزابِ: "مَن يَأْتِينا بخَبَرِ القَوْمِ فَقالَ الزُّبَيْرُ: أنا، ثُمَّ قالَ: مَن يَأْتِينا بخَبَرِ القَوْمِ. فَقالَ الزُّبَيْرُ: أنا، ثُمَّ قالَ: مَن يَأْتِينا بخَبَرِ القَوْمِ فَقالَ الزُّبَيْرُ: أنا، ثُمَّ قالَ: إنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوارِيَّ، وإنَّ حَوارِيَّ الزُّبَيْرُ." / البخاري (٢٥٦ هـ)، صحيح البخاري ٤١١٣ • [صحيح] [↑](#footnote-ref-12)
13. تم تخريجه سابقا [↑](#footnote-ref-13)
14. - [عن عبدالله بن عباس:] لَمّا نَزَلَتْ هذِه الآيَةُ: {وَإنْ تُبْدُوا ما في أنْفُسِكُمْ أوْ تُخْفُوهُ يُحاسِبْكُمْ به اللَّهُ} [البقرة: ٢٨٤]، قالَ: دَخَلَ قُلُوبَهُمْ مِنْها شيءٌ لَمْ يَدْخُلْ قُلُوبَهُمْ مِن شيءٍ، فقالَ النبيُّ صَلّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ:" قُولوا: سَمِعْنا وأَطَعْنا وسَلَّمْنا" قالَ: فألْقى اللَّهُ الإيمانَ في قُلُوبِهِمْ، فأنْزَلَ اللَّهُ تَعالى: {لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إلّا وُسْعَها لها ما كَسَبَتْ وعليها ما اكْتَسَبَتْ رَبَّنا لا تُؤاخِذْنا إنْ نَسِينا، أوْ أخْطَأْنا} قالَ: قدْ فَعَلْتُ {رَبَّنا ولا تَحْمِلْ عليْنا إصْرًا كما حَمَلْتَهُ على الَّذِينَ مِن قَبْلِنا} قالَ: قدْ فَعَلْتُ {واغْفِرْ لنا وارْحَمْنا أنْتَ مَوْلانا} قالَ: قدْ فَعَلْتُ. / مسلم (٢٦١ هـ)، صحيح مسلم ١٢٦ • [صحيح] [↑](#footnote-ref-14)